منشورات أسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمى

سارق الفردوس

بقلم
إبراهيم سلامة إبراهيم

لجنة النشر للثقافة القبطية
والأرثوذكسية

منشورات اسقفية الدراسات العليا اللاهوتية
والثقافة القبطية والبحث العلمى

« سـارق الفـردوس »

بقلم
إبراهيم سلامة إبراهيم
دبلوم الدراسات العليا فى الصحافة والنشر

لجنة النشر للثقافة القبطية
والأرثوذكسية

✠

مقدمة

بسم الآب والإبن والروح القدس الإله الواحد آمين

شاءت عناية الرب أن أكلف بالحديث خلال أسبوع الآلام عن بعض الموضوعات التى تتعلق بآلام مخلصنا الصالح شمس البر ... الينبوع الذى ينبع إلى حياة أبدية .. النور الحقيقى الذى أتى إلى العالم لكى ينير كل إنسان .. الخبز الحقيقى خبز الحياة الأبدية ... ملك الملوك ورب الأرباب ... يسوع المسيح ابن الله الحى ... وبعد مرور الأسبوع ومع الحياة فى أفراح القيامة .... رأيت أن أدون هذه الخواطر عن **الفردوس** الذى عاد إليه الإنسان ... وعن اللص اليمين سارق **الفردوس** ... ورأيت أيضاً أن أنقل خواطرى هذه إلى سائر رعية المسيح ، هؤلاء الذين يجدون التعزية الدائمة فى تواتر الأحاديث عن بعض المواقف والأحداث التى حفل بها هذا الأسبوع المقدس ... إليكم جميعاً أقدم هذا الجهد المتواضع ... ومن خلال صلوات أبينا المبارك قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية ، وصلوات

شريكه فى الخدمة الرسولية نيافة الحبر الجليل الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي ، وسائر أساقفتنا الأرثوذكسيين ، من خلال صلواتهم جميعاً أطلب إلي الرب أن يجعل هذا العمل المتواضع نافعاً للخدمة وعسى أن يكشف لكل من يطالعه بمعونة الروح القدس ، عن آفاق جديدة لانطلاقة الروح التى تطلب ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين العظمة . وله كل المجد إلى الأبد آمين .

ابراهيم سلامة ابراهيم

القاهرة فى ٢٦ مايو ١٩٩٣ للميلاد
١٨ بشنس ١٧٠٩ للشهداء
تذكار نياحة القديس جاورجى رفيق القديس أبرآم

يامن قبل إليه إعتراف اللص على الصليب ، إقبلنا إليك أيها الصالح ، نحن المستوجبين حكم الموت من أجل خطايانا نقر بخطايانا معه ، معترفين بألوهيتك ، ونصرخ معه جميعاً : أذكرنا يارب متى جئت فى ملكوتك .

« القطعة الخامسة من صلاة الساعة التاسعة »

ماهو الفردوس

كلمة **فردوس** تعود إلى أصل فارسى وتعنى حديقة أو غابة ، وصورة الحديقة لها معنى عظيم لدى اليهود لأن أراضى فلسطين صحراوية . وعندما تحدث سفر التكوين عن **الفردوس** الذى غرسه الرب ووضع فيه آدم الإنسان الأول أطلق عليه اسم الجنة فقال : « وغرس الرب الإله جنة فى عدن شرقاً ووضع هناك آدم الذى جبله » (تك ٢ : ٨) ولفظ جنة الوارد فى الترجمات العربية للكتاب المقدس هو نفسه الذى يترجم إلى لفظ garden فى الترجمات الإنجليزية ويعنى حديقة مثمرة . أما إستخدام اللفظ الفارسى (**الفردوس**) وترجمته اليونانية Paradeisos (١) فقد ورد فى الكتاب المقدس فى ثلاثة مواضع بالعهد القديم وثلاثة مواضع بالعهد الجديد كما يلى :

---

(١) مرت اللغة اليونانية بأربعة عصور سابقة على تدوين الكتاب المقدس مترجماً إليها فيما عرف باسم : الترجمة السبعينية septuagenta ، وذلك كما يلى :
أ - العصر الأخائى achaeans وهو عصر مجئ الشعرب الهندو أوربية إلى بلاد الإغريق كما ورد فى الأوديسة وفيه استخدمت اللهجة الأخائية نسبة =

أولا : في العهد القديم :

١ - عندما أراد نحميا وهو فى السبى إعادة بناء أورشليم طلب من الملك الفارسى أرتحشستا الذى وافق على رحلته إلى أرض يهوذا - أن يرسل معه رسائل إلى ولاة عبر النهر لكى يسمحوا له بالمرور إلى أرض يهوذا ، ورسالة إلى (آساف حارس فردوس الملك لكى يعطيه أخشاباً لسقف أبواب القصر الذى للبيت ولسور المدينة وللبيت الذى يدخل إليه فأعطاه الملك

= إلى إقليم أخائية achaea اليونانى .

ب - فى بداية العصر الحديدى (سنة ١١٠٠ ق . م) جاءت موجة جديدة من الشعوب الهندو أوربية إلى بلاد اليونان ويطلق هوميروس على اللهجة التى استخدمت حينذاك اسم : اللهجة الأيونية Ionic نسبة إلى إقليم أيونيا فى بلاد اليونان .

ج - فى عصر بركليس وهو العصر الذهبى للديموقراطية اليونانية ظهرت لهجة أتيكا attic dialect التى كتب بها أفلاطون وثوكيديديز ويوربيديس .

ء - النقلة الكبرى فى الكتابة اليونانية حدثت بعد فتوح الإسكندر الأكبر حيث أقيمت المستعمرات اليونانية فى الشرق الأدنى (من ٣٢٥ - ٦٣ ق . م .) وانتشرت الثقافة الإغريقية hellenic واختلطت بالمؤثرات الشرقية وأصبحت تعرف بالثقافة الهلنستية hellenistic فظهرت لهجة كوين koine dialect التى ظلت مستخدمة حتى القرن السادس الميلادى وبها كتبت أسفار العهد الجديد وإليها ترجمت أسفار العهد القديم .

حسب يد الله الصالحة .) (نح ٢ : ٨) .

٢ ـ خاطب سليمان العروس قائلاً : (أغراسك **فردوس** رمان مع أثمار نفيسة فاغية ونادرين .) (نش ٤ : ١٣) .

٣ ـ عندما تحدث الجامعة عن أن أفراح ومكاسب العالم كلها باطلة قال : (عملت لنفسي جنات **وفراديس** وغرست فيها أشجاراً من كل نوع .) (جا ٢ : ٥) .

ثانياً : في العهد الجديد :

١ ـ وعد السيد المسيح اللص اليمين بنوال الخلاص في نفس اليوم قائلاً : (الحقَّ أقول لكَ إنَّك اليوم تكون معي في **الفردوس** .) (لو ٢٣ : ٤٣) .

٢ ـ عندما تراءى لبولس أن يرد على الذين تفاخروا عليه بنفس أسلوبهم في التفاخر ، تحدث عن مناظر الرب وإعلاناته وكيف أنه (اختطف إلى **الفردوس** وسمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها .) (٢ كو ١٢ : ٤) .

٣ ـ عندما دون يوحنا الرائي ما أوحى إليه به

السيد المسيح وطلب إليه أن يبلغه إلى ملائكة السبع الكنائس ، كان ضمن ماكتبه إلى ملاك كنيسة أفسس مايلي : (من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجزة الحياة التى فى وسط **فردوس** الله .) (رؤ ٢ : ٧) .

والواضح من النصوص التى وردت بها كلمة (**فردوس**) فى مواضعها الستة سواء فى العهد القديم أو العهد الجديد أن الكلمة تعنى : حديقة .

وإذا عدنا إلى سفر التكوين وتأملنا فى حياة الإنسان الأول فى الجنة وكيف أنه لم يستطع الثبات فى حياة البر وخالف الوصية ، نجد أن الرب أوقع عليه العقاب الذى حذره منه قبل أن يسقط فى التعدى . وخشى الرب أن يمد الإنسان يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد مما يترتب عليه أن يحرم الإنسان من الخلاص الذى رتبه الله بظهوره فى الجسد فى العهد الجديد فيحيا الحياة الأبدية ولكن فى جهنم مكابداً لعذابات النار ، ولذلك طرد الإنسان من الجنة وأقام الله شرقى جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . (تك ٣ : ٢٤) .

ومع انطباق الحكم على آدم وكل نسله الذى تبدلت

طبيعته من حالة البر الذى يتمثل فى معرفة الخير وحده إلى حالة الفساد الذى يتمثل فى معرفة الشر واختلاطه بالخير واندفاع الإنسان إلى الانغماس فيه مدفوعاً بالطبيعة التى خالفت الجبلة الأولى وتحولت إلى عبودية إبليس ، أصبحت أرواح الموتى بهذه الطبيعة الفاسدة تهبط بعد موتها إلى الجحيم وهو ما أطلق عليه اسم : الهاوية ـ فى كتب العهد القديم ، وبالتالى لم يتحدث الكتاب المقدس عن الجنة أو **الفردوس** الذى طرد منه آدم بعد ذلك الحديث الخاص بالطرد وإقامة الكروبيم ولهيب السيف المتقلب لحراسة طريق شجرة الحياة . (تك ٣ : ٢٤) .

ولم يرد الحديث عن مكان آخر لإقامة أرواح الموتى حتى أورد معلمنا لوقا البشير الوعد الذى أعطاه السيد المسيح للص اليمين (لو ٢٣ : ٤٣) . وإذا أضفنا إلى ذلك ماأورده القديس لوقا أيضاً عن مثل الغنى ولعازر (لو ١٦ : ١٩ ـ ٣١) نستطيع أن نفرق بين موضعين لانتظار الأرواح حتى يوم الدينونة وهما حسب مفاهيم العهد الجديد : أ ـ **الفردوس** لانتظار أرواح المخلصين الذين نالوا الفداء بالمسيح . ب ـ الجحيم لإقامة أرواح الأشرار الذين ماتوا فى الخطية ولم يتجددوا بدم الخروف المذبوح على الصليب .

وفى أيام المسيح كان اليهود يميزون بين حالتين للفردوس : فى الحالة الألى يتحدثون عن فردوس علوى هو جزء من السماء . وفى الحالة الثانية يتحدثون عن فردوس سفلى هو قسم من مقر الموتى (الجحيم أو الهاوية) بما يفيد أن أحد أقسام الجحيم كان مخصصاً لأرواح الصديقين من رجال العهد القديم الذين رقدوا على رجاء الموعد وهؤلاء كانوا لا يزالون أسرى فى قبضة إبليس ولم يكن من السهل انتقالهم إلى مواضع النياح لأن الفردوس الحقيقى كان مغلقاً فى وجه الإنسان يحرس طريقه الكروبيم ولهيب السيف المتقلب لحراسة طريق شجرة الحياة .

ومن هذا المفهوم نستطيع أيضاً أن نفسر ماورد فى مثل الغنى ولعازر من أن الغنى رأى لعازر فى حضن إبراهيم لأن لعازر وإبراهيم وكافة أبرار العهد القديم كانوا فى هذا القسم من الجحيم المخصص للأبرار لأن السيد المسيح حتى هذا الوقت (وقت التعليم بمثل الغنى ولعازر) لم يكن قد صلب بعد ولذلك فإن أبواب الفردوس لم تكن قد فتحت بعد .

والعجيب أن حديث سفر التكوين عن الجنة بمفهوم مادى بمعنى حديقة مثمرة ، جعل الكثير من الدارسين

يبحثون عن مكانها اعتماداً على النصوص التى أشارت إلى مكانها وحددته بالأنهار التى كانت ترويها حيث غرس الرب الإله الجنة فى موضع محدد أطلق عليه سفر التكوين اسم : عدن شرقاً و (كان نهر يخرج من عدن ليسقى الجنة ومن هناك ينقسم فيصير أربعة رؤوس)(تك ٢ :١٠) خاصة وأن أحد هذه الرؤوس أو الأنهار مازال موجوداً بنفس الإسم الذى أطلق عليه فى سفر التكوين وهو نهر الفرات . (تك ٢ : ١٤) .

وهذا يدفع إلى الاعتقاد بالوجود المادى للجنة وأنها كانت على الأرض وليست فى السماء ، أو أنه حسب معتقد اليهود كان يوجد فردوس علوى وفردوس سفلى وهذا الأخير أى السفلى هو الذى كان على الأرض . وإذا أخذنا بهذا المفهوم نستطيع القول بأن الجنة أو الفردوس الأرضى وموضعه كما يرجح معظم المفسرين يقع فى حوض نهرى دجلة والفرات (جنوب بلاد العراق الحالية) وأنه مع طرد الإنسان وإقامة الكروبيم ، قد جار عليه الزمن ويبست أشجاره المثمرة ، وهجرته الحيوانات التى كانت ترافق آدم وتبددت فى سائر أنحاء الأرض ، ولم يعد للجنة وجود خاصة بعد أن محا الله كل قائم كان على وجه الأرض بالطوفان ، وبقى نوح والذين معه فى الفلك ليكونوا باكورة لعالم جديد قام على الأرض فى انتظار

الخلاص . وعلى ذلك يكون **الفردوس** الأرضى قد زال ، وبالتالى لم يبق إلا **الفردوس** العلوى .

وهذه الخواطر التى لايقوم عليها دليل دفعت بعض المفسرين إلى القول بأن **الفردوس** ليس له وجود مادى وإنما هو حالة من السعادة الروحية أو الفرح ، تحيا فيها أرواح الأبرار انتظاراً ليوم الدينونة حيث تنتقل بعد ذلك إلى ملكوت المسيح . وبالتالى فإن جهنم أو الهاوية هى حالة من الندم أو البؤس والإحساس بالضياع تحيا فيها أرواح الأشرار انتظاراً ليوم الدينونة حيث تنتقل بعد ذلك إلى جهنم النار وبئس المصير .

ونقول هنا إن القول بحالة من السعادة الروحية للأبرار يستدعى وجود مكان للأنتظار وهو **الفردوس** ، كما أن القول بحالة من البؤس للأشرار يستدعى وجود مكان للانتظار وهو الجحيم . والواضح لنا حالياً ومن رسائل معلمنا بولس الرسول أن موضع **الفردوس** هو فى السماء الثالثة (٢ كو ١٢ : ٢ ـ ٤) أما موضع الجحيم فهو في أقسام الأرض السفلى وربما كان يعنى بذلك باطن الأرض أو أى مكان آخر تحت سطح الأرض وليس فوقها (أف ٤ : ٩) . وعموماً فإن علينا ألا نتعجل الأمور بل نخضع للترتيبات التى جعلها الله فى سلطانه

مؤملين أن نحيا فترة غربتنا على الأرض حافظين للإيمان ، سالكين مسالك وسلوك الأبرار ، حتى يكون لنا موضع فى فردوس النعيم انتظاراً للحياة الأبدية التى ينعم بها علينا ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح فى ملكوت السموات بعد مجيئه الثانى الذى يدين فيه الأبرار والأشرار .

من هو اللص اليمين

قبل أن تبدأ رحلة العائلة المقدسة إلى مصر ، كانت فى صحراء سيناء عصابة مكونة من سبعة لصوص يخرجون كل ليلة لقطع الطريق الشمالى الموازى لشاطئ البحر الأبيض المتوسط ، على المسافرين القادمين إلى مصر . وقد اتفق أفراد العصابة فيما بينهم على أن يكون لكل منهم حصيلة سرقة يوم معين من أيام الأسبوع بالترتيب . وعندما سارت العائلة المقدسة فى هذا الطريق ، خرجت عليها العصابة كعادتها ، ولكن اللصوص لم يجدوا مع هذه العائلة شيئاً يستحق السرقة سوى الحمار الذى تركبه السيدة العذراء حاملة الطفل يسوع ، ونظراً لوداعة أفراد العائلة وعدم استعدادهم للقتال أو حتى حملهم لأى سلاح ، لم تنشب أية معركة بينهم وبين المهاجمين ، وسرعان ما مضى جميع أفراد العصابة تاركين اللص صاحب حصيلة اليوم لكى يتصرف مع هذه العائلة الفقيرة المسالمة الوديعة حسبما يتراءى له . وسار اللص فى الطريق مع العائلة المقدسة منجذباً بفعل الحب والتعاطف الذى بدت إماراته على وجوه المسافرين خاصة الطفل الذى تحمله أمه .

وسرعان ما قرر اللص أن يترك الحمار ، ثم مضى إلى أكثر من ذلك فقرر أن يستمر فى مصاحبتهم قليلاً حتى اقتراب الفجر وبذلك يساندهم إذا تعرضوا لأية أخطار أخرى قد تظهر فى الطريق .

وأثناء سيره معهم اقترب من الطفل الذى تعلق به فوجد أن وجهه المشرق بنور عجيب يتصبب بالعرق ، فأخرج منديلاً وأخذ يجفف به العرق ، وسرعان مافاحت رائحة العرق الطيبة وكانت تفوق أعظم روائح الطيب المعروفة للناس فأسرع اللص إلى المنديل يعصره فى زجاجة كان يحملها ، وداوم على ذلك لفترة حتى امتلأت الزجاجة من هذا الطيب النادر ، وهنا توقف تصبب العرق وأوشكت الشمس على الشروق ، فودع اللص العائلة المقدسة ، ورجع في الطريق إلى أرض فلسطين حيث باع هذا الطيب لأحد تجار العطور بثمن باهظ . وكان هذا الثمن هو التعويض الذى أعطاه له الطفل يسوع مقابل تركه الحمار الذى كان يحمل الأم وطفلها المقدس . وبقى اللص بعد ذلك الحدث مختفياً فى غابات أورشليم .

أما تاجر العطور الذى اشترى الطيب فقد احتفظ بالزجاجة فى انتظار المشترى الذى يستطيع أن يدفع الثمن

الباهظ الذى حدده التاجر لهذا الطيب النادر العجيب .

وبعد ما يربو على الثلاثين عاماً جاءت مريم أخت لعازر واشترت هذه الزجاجة . وبينما كان السيد المسيح فى بيت عنيا فـى بـيت سمعان الأبرص وهـو متكئ ، جاءت هـذه المـرأة ومعـها قـارورة الطيب الناردين الخالـص الغالـى الثمن ، ثـم كسرت القارورة وسكبت الطيب علـى رأسـه . (مت ٢٦ : ٦) ، (مر ١٤ : ٣) ، (لو ٧ : ٣٨) ، (يو ١١ : ٢).

لقد كان هذا اللص الذى التقى بالعائلة المقدسة فى رحلتها إلى مصر منذ أكثر من ثلاثين عاماً هو نفسه ديماس اللص اليمين الذى حكم عليه بالموت فصار أحد المجرمين اللذين صلبا مع المسيح بعد مرور ما يجاوز الثلاثين عاماً .

ويذكر معلمنا مرقس البشير فى الإنجيل المقدس : (وكان اللصان المصلوبان معه هما ايضا يعيرانه) (مر ١٥ : ٣٢) .

بينما يقول معلمنا لوقا البشير فى الإنجيل المقدس أيضاً: (واخـذ أحدِ المجرمِين المصلوبين معـه يجـدف علـيه قائلاً : « ألستَ أنتَ المسيح ؟ إذن خلصّ نفسك وخلصّنا . » فأجاب

الآخر وانتهره قائلاً : « أما تخافُ اللَهَ وأنتَ نفسُكَ تحتَ هذا القصاص بعينه ؟ نحن بعدل جوزينا ، لأننا ننال جزاء أعمالنا . أماَ هذا فلم يفعل سوءاً » ثم قال ليسوع « اذكرنى يارب متَى جئت فى ملكوتك » .) (لو ٢٣ : ٣٩ ـ ٤٢) .

ويتضح لنا من النص الذى أورده معلّمنا مرقس البشير أن اللصين اشتركا معاً فى معايرة السيد المسيح . ولكن لسبب ما توقف اللص اليمين عن هذه المشاركة وتغيرت نفسه فيه مما جعل معلمنا لوقا يتغاضى عن مشاركته الأولى ويسرع فيورد لنا هذا التغيير الفجائى الذى طرأ على اللص اليمين فجعله يتوقف عن مشاركة زميله وينقلب عليه وينتهره متحدثاً عن خوف الله والجزاء العادل ، ثم الاعتراف بأن المسيح (لم يفعل سوءاً) ويختم ذلك باعتراف أعظم فيقر بأن المصلوب معه إله متجسد ويخاطبه بلفظ الألوهية قائلاً له : « اذكرنى يارب ... » فما هو ياترى السبب فى هذا التغير الفجائى الذى نقله من عداد الهالكين ليكون بين المفديين ؟ .

كيف عرف اللص المسيح

إن التغيير الفجائى الذى اعترى اللص اليمين وجعله يكتشف فى لحظة أن المصلوب معه هو الرب القادر على كل شئ غافر الخطايا ومعطى الحياة الأبدية ، وأنه قد ملك على الصليب وسيدخل إلى ملكوته بمجرد أن يسلم الروح فى يدى الآب ، دفعه لأن يقر بخطاياه متقبلاً الموت على الصليب جزاء وفاقاً لما اقترف من خطايا فى نفس الوقت الذى اعترف فيه بصلاح المسيح (الصالح واحد هو الله) (حسب القبطى) والمسيح هو الله الذى لم يفعل شراً ولم يكن فى فمه غش والذى سأل اليهود : « من منكم يستطيع ان يثبت علىّ خطيئة» (يوحنا ٨ : ٤٦) فلم يجاوبه أحد لأنهم عاينوا صلاحه . وقد عبر اللص اليمين عن كافة هذه المعانى عندما انتهر زميله الآخر المصلوب معه قائلاً : « نحن بعدل جوزينا ، لأننا ننال جزاء أعمالنا . أما هذا فلم يفعل سوءاً » . ثم قال ليسوع : « اذكرني يارب متى جئت فى ملكوتك » . فقال له يسوع : « الحقّ أقول لك إنّك اليوم تكون معي فى الفردوس . » (لو ٢٣ : ٤١ ـ ٤٣) .

ويبقى السؤال : كيف عرف اللص المسيح ؟ ولماذا اعتراه

هذا التغيير المفاجئ ؟

تقول الفقرة السادسة من أمانة اللص اليمين التى تقرأ بعد طرح الساعة السادسة من يوم الجمعة العظيمة :

(آمنتَ لما رأيتَ السماءَ والأرضَ اضطربتا ، والشمسَ والقمر أظلما ، والأموات قامت ، والصخور تشققت ، وستر الهيكلِ انشقَّ .)

ولكن ـ هل كانت هذه المظاهر المادية المحسوسة هى السبب بالفعل ؟

+ استمرت الظلمة على الأرض من الساعة السادسة (وقت رفع السيد المسيح على الصليب) إلى الساعة التاسعة (وقت تسليمه الروح فى يدى الآب) ، (متى ٢٧ : ٤٥ ، مر ١٥ : ٣٣) وهى المظهر الذى أورده أيضاً معلّمنا لوقا البشير (لو ٢٣ : ٤٤) بعد أن تحدث عن الحوار الذى دار بين السيد المسيح واللص اليمين مما يفيد بأن الظلمة حدثت بعد هذا الحوار .

+ المظاهر الطبيعية الآخرى وهى : (وإذا حجابُ الهيكلِ قد انشقَّ نصفين من أعلاه إلى أسفله ، والأرض

تَزلزَلتَ والصخورُ تشقَّقت ، والقبور تَفتَّحت ، وقد قام كثير من أجساد القديسين الراقدين) (متى ٢٧ : ٥١ ، ٥٢) فلم تحدث إلاّ بعد أن أسلم السيد المسيح الروح فى يدى الآب ، وبالتالى فإنها قد حدثت أيضاً بعد الحوار وليس قبله أو أثناءه .

وبذلك نستدل على أن السيد له المجد قد خاض معركة الموت وحده وداس الموت وحده حسبما ذكر إشعياء النبى (قد دست المعصرة وحدى .) (إش ٦٣ : ٣) وأن حدوث هذه المظاهر الطبيعية لم يكن تعبيراً عن حزن الطبيعة فقط كما يقول بعض المفسرين ، ولكنها ايضا دليل على انتهاء العهد القديم بالموت وتمهيداً لبزوغ فجر العهد الجديد الذى صحب قيامة الرب فى فجر الأحد .

ويبقى السوال : كيف عرف اللص المسيح ؟ ولماذا اعتراه هذا التغيير المفاجئ ؟

فى رأينا أن الجواب يكمن فى الحدث الذى جرى منذ أكثر من ثلاثين عاماً قبل أحداث الصلب ، بين الطفل يسوع واللص ديماس . لقد التقى اللص بالمسيح الله وعرفه وهو طفل ولكنه لم يعرف لماذا تجسد كلمة الله وجاء فى صورة الإنسان

... لم يجد جواباً عن سؤاله حينذاك . أما فى يوم الجمعة العظيمة وقد رآه معلقاً على الصليب فقد وجد الجواب عن السؤال الذى حيره ... لقد تنازل ملك الملوك وأخذ شكل العبد وجاء فى صورة الإنسان لكى يفدى الإنسان ... إن النور العجيب الذى كان يشع من وجه الطفل الذى تحمله أمه على ظهر الحمار كان هو نفس النور الذى أحاط بوجه الملك المصلوب ... ولا بد أن ديماس قد عرف فى الطفل الكثير من الدلائل التى تكررت أمامه على الصليب ... وهى دلائل رآها بالروح وليس بالجسد ... ربما رأى الملائكة وهى تنزل على ابن الإنسان ، وأبواب السموات مفتوحة ... ربما رأى الكائنات السمائية وهى تسبح تسبحة الغلبة والخلاص التى أوردها معلمنا إشعياء النبى : (ياه يهوه قوتى وترنيمتى وقد صار لى خلاصاً .) (إش ١٢ : ٢) ...

إن هذا الإنسان المصلوب هو نفسه الطفل الذى ارتحل إلى مصر وتقابل معه ... وللأسف الشديد فإنّ ديماس لم يجد فرصة لكى يقدم لنا الجواب عن السؤال : كيف عرف المسيح ؟ ولماذا اعتراه التغيير ؟ لقد كانت كافة الظروف لاتسمح بتقديم الجواب الذى حمله ديماس معه ... إلى **الفردوس** .

دخول اللص إلى الفردوس

أعطى السيد المسيح وعده للص اليمين هكذا : « الحق أقول لك اليوم تكون معى فى **الفردوس** » (لـو ٢٣ : ٤٣) وكلمة اليوم تعنى يوم الصلب أى الجمعة وبالطبع فإن ذلك يستبعد أن يكون يوم السبت هو يوم دخول اللص اليمين إلى **الفردوس** لأن الوعد كان محدداً وقاطعاً باستخدام أداة التعريف « ال » وكان باب **الفردوس** مغلقاً منذ طرد ادم . (تك ٣ : ٢٤) لذلك فإن السيد المسيح لكى يحقق وعده (اليوم) كان لا بد أن يفتح باب **الفردوس** فى نفس يوم الصلب أى الجمعة الممتد إلى يوم السبت الذى سمى بسبت الفرح وكلمة (اليوم تكون معى فى **الفردوس**) لا تعنى أن اللص اليمين دخل إلى **الفردوس** مباشرة بعد موته فالحقيقة الناصعة هى أن المسيح له المجد بعد أن تمم الفداء بالصلب والموت نزل من القبر إلى الجحيم إلى العالم السفلى واقتحمه بسلطانه وأخرج آدم وبنيه والمنتظرين الفداء وأدخلهم إلى **الفردوس** ـ ومعهم اللص اليمين الذى لا بد أنه نزل أولاً إلى الجحيم ثم أدخله المسيح معه ومع الذين حملهم معه إلى **الفردوس** .

يقول طرح الساعة التاسعة من يوم الجمعة العظيمة :

« ومضى إلى الجحيم بالنفس التى أخذها من طبيعة آدم وجعلها واحداً معه . والنفوس التى كانت فى السجن أصعدها معه كعظيم رحمته . والعدو الأخير الذى هو الشيطان قيده بالقيود والسلاسل فلما رآه البوابون الأشرار والقوات الكائنة فى الظلمة هربوا ولم يطيقوا الثبوت لأنهم عرفوا قوته وكثرة جبروته فكسر الأبواب النحاس بسلطانه والمتاريس الحديد سحقها . أما المسبيون فلما رأوا الرب يسوع مخلص نفوسهم ، صرخوا قائلين : حسناً جئت أيها المنقذ عبيده . ثم أمسك أولاً بيد آدم واجتذبه وأصعده وبنيه معه وأدخلهم إلى **الفردوس** مسكن الفرح والراحة . »

وهكذا نرى أن أبواب **الفردوس** قد انفتحت فى نفس يوم الجمعة الممتد إلى سبت الفرح حسب قول الإنجيل « لقد تهلل إبراهيم أبوكم مشتهياً أن يرى يومى ، وقد رأى وفرح . » (يو ٨ : ٥٦) فالمسيح له المجد نزل أولاً إلى العالم السفلى قبل أن يدخل بالمؤمنين إلى **الفردوس** « وأما أنه صعد فما هو إلا أنه نزل أولاً إلى أقسام الأرض السفلى - سبى سبياً وأعطى الناس عطايا . » (اف ٤ : ٨ ، ٩) واللص اليمين دخل إلى **الفردوس** مع سيده ومع أرواح المنتظرين الفداء .

وأتم السيد المسيح له المجد مهمة الخلاص فأصعد نفوس أبرار العهد القديم الذى ماتوا على الرجاء بعد أن اقتحم الجحيم ظافراً حسب نبوات الأنبياء الذين بشروا بذلك :

* « ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارتفعن أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد . الرب القدير الجبار ، الرب الجبار فى القتال . ارفعن أيتها الأرتاج رؤوسكن وارفعنها أيتها الأبواب الدهريات فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد . رب الجنود هو ملك المجد . » (مز ٢٤ : ٧ ـ ١٠) .

لقد رأى داود النبى فى هذا المزمور ـ منذ ألف عام قبل الصلب ـ شراسة المعركة التى خاضها السيد المسيح عندما رفع على الصليب وتحمل القصاص عن كافة البشر فى جميع الأجيال ـ فى جسده البشرى بكامل إرادته وحده . وعندما حان وقت تسليم الروح كان الشيطان حاضراً كعادته واقترب لكى يقبض عليها ويأخذها معه إلى الجحيم فإذا بالسيد المسيح الميت بالجسد والحى باللاهوت يقبض على الشيطان لكى يقيده ويمنعه من أن يرهب المؤمنين فيما بعد . ولذلك فإن السيد له المجد عندما أراد أن يقدم ذاته لحراس أبواب الجحيم

بوصفه ملك المجد ، إذا بهؤلاء الحراس يتساءلون عن ملك المجد ، ويأتى الرد سريعاً بأنه الرب القدير الجبار . الرب الجبار فى القتال . رب الجنود . هذا هو ملك المجد . وبذلك علم هؤلاء الحراس أن المعركة قد انتهت وأن السيد المسيح قد انتصر على الشيطان وسحقه فارتفعت الأبواب التى ظلت مغلقة دهوراً طويلة حتى تمنع خروج المسبيين . ودخل ملك المجد .

* الشعب السالك فى الظلمة أبصر نوراً عظيماً . الجالسون فى أرض ظلال الموت أشرق عليهم نور . (إش ٩ : ٢) .

* لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن . الجالسين فى الظلمة . (إش ٤٢ : ٧) .

* أرجعوا إلى الحصن ياأسرى الرجاء . (زك ٩ : ١٢) .

كان أسرى الرجاء فى الجحيم ، سالكين فى الظلمة ، وجالسين فى أرض ظلال الموت ، ومقيمين فى بيت السجن ، وفجأة ارتفعت الأرتاج وانفتحت الأبواب وأشرق نور ملك الملوك ورب الأرباب . وانتصب الأسرى وقد تساقطت عنهم القيود

فقام كل الجلوس وصعدوا فى موكب النصرة ليدخلوا الفردوس ، مكان الانتظار فى العهد الجديد .. لكل من نال الفداء بدم المسيح المسفوك على الصليب .. ولذلك فإن يوم السبت هو سبت الفرح وهو أيضاً سبت النور ، أعظم عيد عرفه هؤلاء الذين أغلق عليهم فى الظلام . وفى فجر يوم الأحد قام المسيح من بين الأموات بعد أن داس الموت بالموت ، ووهب الحياة للذين فى القبور .

الخلاصة

يقولون عن اللص اليمين أنه استطاع أن ينهى سجل سرقاته فى آخر لحظات حياته ، بسرقة مقدسة ، صارت سبباً للتغاضى عن كافة سرقاته السابقة ، ونعنى بذلك أنه ختم تاريخه بسرقة **الفردوس** . حقاً ! (من رأى لصاً آمن بملك مثل هذا اللص ، الذى بأمانته سرق ملكوت السموات **وفردوس** النعيم) .

إن الإنجيل المقدس يقدم لنا فى قصة اللص اليمين درساً يرد به على هؤلاء الذين يظنون أن حياة الشر تحول دون التوبة وتصعب مهمة ولوج أبواب الغفران ، بينما تكمن الحقيقة فى أن التوبة وأبواب الغفران مفتوحة دائماً أمام كل خاطئ يقر بخطاياه معترفاً بألوهية المسيح على أن يغتسل فى المعمودية ، وفى سر القربان يتناول من جسده ودمه الأقدسين لأنه (ليس بأحد غيره الخلاص) . إنه هو غافر الخطايا وشفيع المذنبين الذى قال عن نفسه :

(لأنـى ماجـئتُ لأدعو أبراراً بل خطاةً إلى التوبة) . (مت ٩ : ١٣) .

وكذلك قال عنه يوحنا الحبيب :

(وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الآب يسوع المسيح البار ، وهو كفارة لخطايانا ، ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً .) (ايو ٢ : ١ ـ ٢) .

وهذه دعوة مفتوحة لكل اللصوص الذين سرقوا سرقات متنوعة ، واغصبوا حقوقاً ليست لهم ، وجدفوا ، وعايروا ، واستهانوا بكل القيم ، ويئسوا من القدرة على أن يتغيروا ... فربما وجدوا في سيرة ديماس اللص اليمين وخاتمة تاريخه المهين ، ما يساعدهم على التعلق بالرجاء حتى يصيروا مثله لصوصاً يسرقون ملكوت السموات وفردوس النعيم .

(لأن ملكوت الله يُغْصَبُ والغاصبون يأخذونه قسراً) . (مت ١١ : ٢١) .

ابراهيم سلامة ابراهيم

ايداع رقم ٩٤/٤١٠٢

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون ٩٠٤٣٤٢

دار الجيل للطباعة ١٤ قصر اللؤلؤة - الفجالة
جمهورية مصر العربية - تليفون: ٩٠٤٣٤٣